



للكاتب الروسي نيقولا تيشوف
بقتله الأستاذ عبد الرحمن صديقي

كان ذلك في بكرة الصباح

و « فلاديمير كلادينوف » فتى وسيم ، مديد القامة ، في الثانية والعشرين من عمره ، كالمسلمان مظهرآ ، له وجه مليح وشعر وحف أشقر ، يرتدى حلة الضباط ، وينتعل نعال الركوب الطويلة ؛ وكان واقفاً في صراج ممشوشب كساه متساقط الجليد ، وهو شاخص الى ضابط آخر ، وذلك الآخر رجل أسهل الشاربين ، بائن الطول ، محمر الوجه ، وكان مواجهآ له على مسافة ثلاثين قدماً وهو يرفع على مهل يده حاملة في قبضتها مسدساً يسدده الى فلاديمير

وكان فلاديمير واضعآ ذراعيه متشابكين على صدره ، حاملاً كذلك في إحدى كفيه مسدساً ، وهو ينتظر — انتظار من لا يبالي — طلقة النار يطلقها عليه خصمه . وكان وجهه الناضر الصبيح وإن غشيته مسحة من شحوب تنوقد الشجاعة فيه ويعلموه ابتسام المستخف . وكان موقفه الخطر ، وما يبدو على غميره من تصميم مبرم لا رحمة فيه ، وشدة الانتباه من جانب الشهود الواقفين صفآ واحداً بلا حس ولا حراك ، كل هذه مجتمعة جماتها لحظة بالغة الهول ، غامضة السكنة ، رهيبة

الوقع . إنها مسألة شرف يجب هنا القضاء فيها . وكان الجميع شاعرين بجلالها . وعلى قدر بعدهم عن إدراك ما هم صانعون كانت اللحظة تزداد رهبة على رهبة

وانطلقت رصاصة . وسرت في فرائض الجميع رعدة . وأرخى فلاديمير ذراعيه ، وثنى ركبتيه ، وخر في مكانه . وهو على الثلج لقي ، وقد نفذت الرصاصة في رأسه ، منطرح ، وذراعه متباعدتان ، وشعره ووجهه ومتوسد الثلج تحت رأسه ، كاهما مخرجة بالدم . وهربول إليه الشهود فاحتملوه . وخصه الطبيب بقرر وفاته . وانحات مشكلة الشرف وانفض أمرها . ولم يبق إلا إبلاغ الخبر الى الفرقة التي يتبعها الضابط ، وإبلاغ النمي بقدر ما يمكن من التلطف والتحرز الى الأم التي أصبحت من بعده وحيدة في الدنيا . فان الفتى القليل وحيدها . وهي لم تحظر قبل المباراة في بال أحد . أما الآن فالكل يفكرون ويطيعون التفكير . فالكل يعرفونها ويحبونها ويدركون أنه لا بد من التقديم لهذا النبا الفظيع عندها والتمهيد قبل إلقائه والتدرج في مساقه . وفي النهاية وقع الاختيار على « إيفان جوايوبنسكو » بوصف أنه أصاحهم جميعاً

لتبليغ الخبر للأم وتهوين الخطب جهد المستطاع

كانت « بلارجيا بتروفنا » قد استيقظت ساعتئذ من نومها . وكانت تجهز لنفسها شاي الصباح ، حين دخل الى غرفتها « إيفان جوليوبنسكو » مكتئباً مرتبكاً

وهبت السيدة المعجوز للملاقة ضيفها قائلة :
« لقد جئت في الأوان والشاي مجهز يا إيفان ! »
ثم أردفت : « إنك قادم لا محالة لترى فلاديمير ! »
فغمغم « جوليوبنسكو » مجفلاً : « لا ... إنما كنت ماراً ... »

— أنت لا بد عاذره ، إنه لا يزال نائماً لقد قضى سحابة الليلة الماضية يذرع غرفته جيئةً وذهاباً . وقد أوصيت الخادمة ألا توقظه ، فإن اليوم عطلة بمناسبة العيد . ولكن لملك آت في مهمة مستعجلة ؟

— كلا ، وإنما عرجت عليكم في سروري لحظة ...

— إن شئت رؤيته أمرت بإيقاظه

— كلا ، كلا لا تنكفي نفسك

ولكن بيلارجيا بتروفنا كانت معتقدة أنه قادم ليرى ابنها في أمر من الأمور . فخرجت وهي تتمتع بينها وبين نفسها

وجعل « جوليوبنسكو » يذهب ويجيء مضطرباً ، ويقلب كفيه ، وهو لا يدري كيف يبلغها الخبر الفظيع . لقد أزعجت اللحظة الحاسمة ، ولكنه لم يعد مالكا لنفسه بل مالكة الروح فهو يلعن الحظ الذي ورطه شر مورط في الأمر كله واستهلت « بيلارجيا بتروفنا » وهي تدخل

الغرفة مخاطبة زائرها سليمة السريرة طيبة النخيزة :

— وبمعد ! فكيف لامرئ أن يثق فيكم

أيها الشبان ؟ هأنذا أحاذر أن أحدث أدنى حس للأقداح وأطباقها ، واستسمحك في عدم إيقاظ إبنى ، فإذا هو قد مضى منذ برهة طويلة ولم يخلف أثرأ ! والسن ، لم لا تجلس وتشرب قدحاً من الشاي ؟ لقد أهملنا نشر الاهمال في هذه الأيام الأخيرة وابتسمت كأنما تنقسم عن سرور مخاصر ، وزادت بصوت خافت :

— كانت الأخبار كثيرة عندنا في تلك الآونة ، وما أحسب أن فلاديمير استطاع كتبها . ولا بد أنه أفضى بها اليك كافة بخفايرها ليومنا هذا . إن ابني فلاديمير مستقيم الطبع مفتوح القلب . واللييلة البارحة دارت بخلدی الظنون مع ما بها من إثم ! إذا كان فلاديمير إبنى يذرع الغرفة طيلة ليلته فعمناه أنه يفكر في « لينوتشكا » صبا بها ، مشوقاً اليها . وإن من مألوف عادته ودينه إذا ذرع الغرفة الليل طوله أن يعضى لا محالة في الغداة . آه يا إيفان لا أتمنى شيئاً على الله إلا أن يرزقني من لدنه هذه الفرحة بقربها عيني في هرمى . وما ذا أطلبه امرأة معجوز أكثر من هذا ؟ وليس لي غيرها أمنية وبشرى ؛ وإنه ليخيل الى أن ليس ثمة سؤال أرغبه بعد إذ يتزوج فلاديمير ولينوتشكا . إن في ذلك لغبطة لي وأيام غبطة ، وسعادة ما بعد ما سمادة . ومالى سوى فلاديمير من حاجة . وليس شيء أحب الى من هناءته

وكان من شدة تأثر السيدة المعجوز أن جمعت تكفكف الدمع قد اغرورقت به عيناها واسترسلت تتحدث إليه : « أو تذكر ؟

« إن لك عندي تحية ، لقد كتبت لينوتشكا فيها كتيبتة لي توصيني بأن أبلغ تحياتها إلى إيفان ، وأن أرجوه المحي مع فلاديمير لزيارتها ؛ فأنت ترى بنفسك يا إيفان مودتها لك ! لا وایم الله ، يظهر أنني لا أستطيع الاستئثار بهذا وحدي . لابد من إطلاعك على الخطاب ، ولتتظرن أنت لنفسك مبلغ ما فيه من محبة وعذوبة

وعاودت بيلاجيا بتروفنا البحث عن حزمة الخطابات في جيبها وسحبت منها طرسا رقيق الورق مفرط الكتابة ، ونشرته أمام إيفان جوايو بنك وقد زاد وجهه اكفهرارا ، وحاول إيفان أن يدفع عنه القرطاس الممدود ، ولكن بيلاجيا بتروفنا كانت قد أنشأت تقرأه :

(عزيزتي بيلاجيا بتروفنا — متى يثن الأوان الذي أخطبك فيه بغير هذا فادعوك بيا أي العزبة المحببة ! إنني أرقب ذلك اليوم متلهفة ، وإن أملی لعظيم بقرب حلوله حتى لست أحب دعوتك من الآن باسم غير يا أي —)

ورفعت بيلاجيا بتروفنا رأسها ، وتوقفت عن التلاوة ، ونظرت إلى جوليو بنك بعينين تملؤهما العبرات وقالت : « أترى يا إيفان ! » . ولكنها رأت جوليو بنكو بمضض شاربيه بناجديه ، وأن عينيه هو أيضاً مغرورقتان . فقامت وأقبلت عليه ، ووضعت يدها الزمعة على شعره ، وقبّلته في هيئة فوق جبينه ، هامسة من شدة التأثر : « شكرا يا إيفان ! لقد كنت دائما أعتقد أنك وفلاديمير أقرب إلى الآخرين الشقيقين منك إلى مجرد صديقين . لا تؤاخذاني . إنني سعيدة أيما سعادة . والحمد لله سبحانه ! »

لم تكن الأمور في البداية جارية على أحسن حال ، سواء فيما بينهما أو فيما يتعلق بالمال . فأنكم معشر الشبان الضباط غير مسموح لكم حتى الزواج من غير مال مرصود . حسن ، لقد تم الآن إعداد كل شيء : حصلت على الخمسة الآلاف روبية اللازمة لفلاديمير . وفي الامكان ذهابهما إلى المحراب لعقد الزواج غداً غد . أجل ، وقد كتبت لي لينوتشكا خطاباً ما أطفه . إن قلبي جذلان مبتهج

وأخرجت « بيلاجيا بتروفنا » — وهي مسترسلة في كلامها — خطاباً من جيبها ، وأظهرته لجوليو بنكو ثم أعادته : « انها الفتاة محببة ! وناهيك من طيبة نفسها !

وجلس إيفان جوليو بنكو يتنصت إلى كلامها وهو على مثل الجمر . وقد أراد أن يقطع عليها هذا الفيض من الأحاديث ، ويقول لها إن كل شيء قد انتهى ، وأن فلاديمير ابنها مات وأصبح في خبر كان ، وأنه بعد ساعة واحدة لن يبقى لها شيء من هذه الآمال الزاهية . ولكنه أنصت إليها والنزم الصمت ، ونظر إلى وجهها الطيب اللطيف فأخذ منه الاشفاق عليها وإذا حركة تشنج تأخذ بكظمه وأخيراً سأله السيدة المعجوز : « ولكن ، مالي أراك اليوم متجهما ؟ ما بالك ، إن وجهك يبدو مكفهرًا كامداً كالليل !

وود إيفان لو يقول : « نعم ! وسيكون وجهك كذلك حين أخبرك الخبر ! » ولكنه لم يبلغها شيئاً ، واستماض من ذلك بأن أشاح بوجهه وجمل يقتل شاربيه

ولم تلحظ بيلاجيا بتروفنا شيئاً ، واستطردت وهي في أفكارها مستغرقة :

ضروب البطولة وسائر ما يسمونه مسائل الشرف على اختلاف ألوانها . وأخيراً هب من مجلسه وهو موطن النفس على التصريح أو الفرار . وأقبل ، فتناول — معجلاً ومن غير كلام — يد بيلاجيا بتروفنا وأمحنى بلسمها ، فأخفى بذلك وجهه عنها ، وإذا سيل من الدمع السخين المندرج بينهم فوقها . ثم انتزع نفسه وانطلق لا يلوى على شيء ، وتناول عند الباب معطفه الكثيف وخرج من البيت دون أن يقول كلمة

ونظمت بيلاجيا بتروفنا وراءه مندهشة ، وقالت في نفسها : « لاشك أنه أيضاً عاشق ، مسكين ، كان الله في عونته . إيه ! إنها لوعة الصبا تلوعهم — ومن بعدها سمادة » ثم سرعان ما نسيت ، وغاب أمره عن بالها ، واستغرقت المجوز في أحلامها بالسعادة تتراءى لها محققة كاملة !
عبد الرحمن صرقي

استدراك

جاء في (مذكرات نائب في الأرياف) المنشورة في هذا العدد أن مدة المعارضة أربعة أيام والصواب ثلاثة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً

وفاضت الدموع على خديها . واشتد بايقان جوليو بنكو اضطرابه وارتباكاً ، ولم يسمعه إلا أن يأخذ بين راحتيه يدها الباردة المروقة ويكب عليها تقبيلًا . وكان مختنقا بالمعبرات فلم يستطع أن يلفظ حرفًا . ولكن هذه الفورة من الحب الأموي أشمرته بالتبكي الشديد ، حتى لقد آثر أن لو كان هو الصريع على الساحة وقد نفذت الرصاصة في دماغه ، فذاك أهون عليه من سماع عبارات الحمد له وامتداح صداقته وخالص أخوته تجري على لسان هذه المرأة وهي بعد هنيئة قصيرة سيتضح لها حقيقة الواقع وجلية الأمر . وماذا ترتأى فيه وقتئذ ؟ ألم يقف — وهو الصديق وفي حكم الشقيق — ساكنًا جامدًا حين كان المسدس مسددًا إلى فلاديمير ؟ أليس هذا الشقيق نفسه هو الذي قاس المسافة بين الغريمين ، وهو الذي حشا المسدسين ؟ كل هذا صنعه بنفسه ، وقد صنعه وهو يعي ما يصنع ؛ وهاك الصديق بل الشقيق يجلس الآن صامتًا ولا يتقدم حتى هنا للقيام بواجبه

إنه جزع خائف . يحترق في هذه اللحظة نفسه دون أن يستطيع مغالبتها يقول ولو كلمة واحدة . وإن إحساساً غريباً بالتناقض يخرج صدره ويزهق روحه ، فهو في كرب واختناق . والوقت يمر مرعاً ؛ إنه يعلم بمروره ، وكلما زاد به علماً وهت غريبتة ولم يقو على حرمان بيلاجيا بتروفنا مما بقى لها من لحظات سعيدة أخيرة . فإذا هو قاتل لها ؟ وكيف يقدم للخبر ويهيوها لسماعه ؟ لقد حار إيفان جوليا بنكو في أمره وأسقط في يده

لقد انفسح له الوقت هنا ليلعن في سره جميع المبارزات وجميع المشاحنات وكل ضرب من